الإسماعيلية (الباطنية):

تعد من الفرق التي نلمس لها نشاطاً ملحوظاً في عصرنا الحاضر، كما نجد لها أصولاً بعيدة تمتد عبر قرون طويلة، فهي من الفرق التي نجد لها مسميات عديدة باختلاف المكان الذي تتواجد فيه:

فهي في العراق بـ (القرامطة) و (المزدكية)، وفي مصر بـ (العبيدية)، وفي خراسان بـ (الميمونية)، وفي الشام بـ (النصيرية) و (الدروز) و (التيامنة) و (النزارية) و (السنانية)، وفي فلسطين بـ (البهائية)، وفي الهند بـ (البهرة)، وفي بلاد الأعاجم بـ (البابية)، وتُسمى في بلاد الأعاجم أيضا (الأغاخانية)، وهم (الحشاشين)، ويُطلق عليها (الخطابية)، وفي اليمن بـ (اليامية)، على أنه ليس كل (يامي) إسماعيلياً.

وهي تعد من أكثر فرق الشيعة ضلالاً وشططاً، وأبعد ما يكونوا عن الإسلام؛ لأنهم يقولون إنّ لكل ظاهرٍ باطناً، ويقولون ذلك حتى في القرآن الكريم، فله عندهم ظاهرٌ وباطنٌ، فالباطن لا يفهمه سواهم! وهذه وسيلة من وسائل أهل الضلال لهدم الإسلام.

نشأتهم:

ترجع نشأة فرقة الإسماعيلية إلى ذاك الخلاف الذي وقع بين الشيعة بعد وفاة جعفر الصادق سنة (١٤٨ هـ) حيث ذهب فريق إلى أنّ الإمامة لموسى بن جعفر الصادق، وهو المعروف بالكاظم، وهؤلاء أُطلق عليهم الموسوية، والإمامية، والاثنا عشرية، وذهب آخر إلى أنّ الإمامة لإسماعيل بن جعفر الصادق، فسُمّوا الإسماعيلية، وهؤلاء قد زعموا أنّ جعفر الصادق نصّ على إمامة إسماعيل، وقد وقع الخلاف بينهم هل مات إسماعيل في حياة أبيه أولا؟

والأشهر أنه مات في حياة أبيه سنة ١٤٥ هـ ، والذين قالوا بوفاة إسماعيل في حياة أبيه ساقوا الإمامة إلى ابنه محمد بن إسماعيل، ومحمد هذا هو الذي يُسمونه الفاتح وصاحب الزمان.

والحق أنّ للإسماعيلية جذوراً بعيدةً تمتد إلى عبد الله بن سبأ اليهودي، فهم يشتركون في كونهم صنيعة يهودية! وذلك لأنهم كانوا يشتركون مع الرافضة حتى وفاة جعفر الصادق رحمه الله.

والمتأمل إلى تاريخ هذه الفرقة يجد لها رجالاً قد لعبوا دورًا أساسيًا في وضع القواعد والمبادئ والأصول التي قامت عليها هذه الفرقة من هؤلاء إسماعيل بن جعفر وهو مؤسسها، وإليه تنتسب، وكان إسماعيل هذا أكبر إخوته، وأحبهم إلى أبيه. وكان جعفر الصادق – رحمه الله – ينقم على أبي الخطاب، وعلى المفضل بن عمر، والأخير هذا من أتباع أبي الخطاب.

ومن أشهر رؤوس هذه الفرقة: أبو الخطاب، وهو محمد بن مقلاص الأسدي الكوفي، وقد سار هذا الضال في أفكار الغلوّ حتى قُتل على يد عيسى بن موسى والي الكوفة سنة ١٤٣ هـ .

وكان أبو الخطاب أستاذاً للمفضل الجعفي الذي كان وراء محمد بن نصير مؤسس النصيرية، وكان مخلصاً لميمون القدّاح ولابنه عبد الله بن ميمون . وهذان ممن عملا بشكل فعال على انطلاقة الإسماعيلية، ثم انبثقت منها الحركات الأخرى كالقرامطة والدروز وغيرهم مما ذكرنا.

كذلك من رجال هذه الفرقة:

الحسن بن حوشب، وعلي بن الفضل وهما اللذان نشراً الدعوة الإسماعيلية في اليمن.وقد ادّعى علي بن الفضل هذا النبوة، وأحلّ لأصحابه المحرمات، فأحلّ شرب الخمر، ونكاح البنات والأخوات، وأظهر عقائده الإلحادية في اليمن، وخرّب الكثير من المساجد.

وهذا الخبيث لما احتل مدينة الجند باليمن سنة ٢٩٢ هـ صعد المنبر وقال هذه الأبيات:

خــذي الدفّ يا هذه واضربي	وغــنّي هــزارك ثـم اطربي
تولّـــى نـبيّ بـني هاشـــم	وجــاء نــبي بـني يعـــرب
أحـــلّ البنـات مـع الأمهـات	ومن فضله زاد حلّ الصبيّ
لكـــل نبيّ مــضى شرعـــه	وهـــذي شريعـة هـذا النبيّ
فقد حط عنا فروض الصلاة	وحــط الصيـام ولم يتعب
ومــا الخمــر إلا كماء السمـاء	حلال فقدّست من مذهب [1]

وبقي يعيث باليمن فساداً حتى مات مسموماً سنة ٣٠٣ هـ ، وأبو عبد الله الشيعي الذي نشر الدعوة في المغرب، وميمون القدّاح وابنه عبد الله بن ميمون، ابنه أحمد بن عبد الله الذين نشروا الدعوة في مصر وغيرها، والفرج بن عثمان القاشاني الذي أظهر الدعوة في البحرين، وقد استمال شخصاً يُدعى حمدان بن قرمط الأشعث. وهذا الأخير حمدان هو مؤسس فرقة القرامطة الإسماعيلية الذين سنتحدث عنهم فيما بعد، ثم جاء من بعده داعية إسماعيلي هو الحسن بن بهرام المعروف بـ (أبي سعيد

[1]- انظر كشف أسرار الباطنية ، للشيخ محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني ص (٥٥) والحركات الباطنية ، د / محمد الخطيب ص (٦٦)

الجنّابي)، وقد هاجم هذا (هجر) سنة ٢٨٧ هـ واحتلها، وجعلها عاصمة له. وهو الذي تعرض للحجاج في طريقهم وقتلهم على مدى سنوات، حتى كان من شأنه أن قتل الحُجاج في الحرم، وردم بئر زمزم بالقتلى، وقد أمر بعد ذلك بقلع الحجر الأسود.

ومن أشهر أئمتهم عبيد الله المهدي، وهو سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح، وقد انتسب إلى آل البيت وتستر بذلك، وادعى أنه علويّ، وإليه تُنسب الدولة العبيدية، ومن هنا سُمّيت الدولة العبيدية بـ (الفاطمية) نسبة إلى فاطمة الزهراء - رضي الله عنها –وهي منهم براء.

وبعد وفاة المستنصر بالله سنة ٤٨٧ هـ انقسمت الإسماعيلية إلى: مستعلية نسبة إلى المستعلي بن المستنصر، وهي التي عُرفت بعد ذلك بـ (البهرة) و (نزارية) نسبة إلى نزار بن المستنصر.

والنزارية تُسمى في بلاد الأعاجم (الأغاخانية)، ومن أشهر مؤسسيها الحسن بن الصباح، وقد عُرف أنصاره بـ (الحشاشين)، ومنهم (شيخ الجبل) وهو راشد بن سنان، الذي كوّن فرعاً للحركة في بلاد الشام، وعُرفوا بـ (السنانية)،ولا تزال جذورهم باقية في الشام في سلمية والخوابي والقدموس ومصياف وبانياس والكهف. ثم كان تقويض دولة الإسماعيلية على يد صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٧ هـ .

ومن هنا فإن الرافضة عموما، والإسماعيلية خصوصاً، يكرهون بل ويحقدون على صلاح الدين – رحمه الله – ويُحاولون تشويه سمعته.

معتقداتهم:

١- القول بالتجسيم أي تشبيه الله بخلقه وأشد منه التعطيل، فقد عطلوا الله من كل وصف مع نفيهم للأسماء والصفات، كذلك نفيهم أن الله خلق العالَم خلقا مباشرا، وإنما أبدع الكاف واخترع النون (كُن). هذا مع اعتقادهم أن الله لم يخلق الخلق، وأنه لا يُدبر شؤونهم ولا يرزقهم ولا يُحييهم ولا يُميتهم، وإنما الذي يقوم بذلك كله هو العقل الأول الذي أبدعه الله بزعمهم.

٢- ومن المبادئ التي استمدها الإسماعيلية من المجوس مبدأ أن للكون إلهين! ويُعبر عنه عندهم بـ (السابق والتالي)، وهو موجود حتى عند المعاصرين، بل عند الكتّاب والمثقفين منهم !

٣- يقولون بالحلول وبِقِدَم العالَم والقول بتناسخ الأرواح، والقول بالوصية والرجعة

٤- النبوّة عند الإسماعيلية مكتسبة، فباستطاعة الإنسان أن يُصبح نبيّاً !، وبالتالي فإنهم يعتقدون أن علياً بمنزلة محمد صلى الله عليه وسلم .

٥- إنكارهم أن يكون القرآن وحياً، بل يعتقدون أنه من المعارف التي فاضت على قلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

٦- المغالاة في أئمتهم حتى يرفعوهم إلى مرتبة الألوهية كحال الرافضة تماماً.

٧- اعتقادهم أن للإسلام سبع دعائم، لا يكون الإنسان مسلماً إلا بها، وهي: الولاية، والطهارة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد، على أنهم يقولون بالمعاني الباطنية لهذه الدعائم ، لا كما يقوله أهل الإسلام.

٨- إنكارهم للكثير من الغيبيات، ويلوون نصوص الوحي؛ لتوافق مذهبهم، فقد جاءوا بمفاهيم مغايرة تماماً لما جاء به الإسلام، خاصة فيما يتعلق بالمبدأ والمعاد، وعذاب القبر ونعيمه، والجنة والنار، وغيرها من الأمور الغيبية. وهم مع ذلك لا يؤمنون ببعثٍ ولا نشور، ويُنكرون المعاد والحساب.

٩- اتفاقهم مع الرافضة في الاعتقاد في الصحابة - رضوان الله عليهم - بل أشد؛ فقد نعتوهم بالصفات القبيحة كإبليس وفرعون وهامان والطاغوت وهُبل وغير ذلك !

وإن كانت الرافضة تشترك معهم في نعت الشيخين بـ (الجبت والطاغوت) !

من المبادئ السابقة نكتشف مدى الضلال والفساد العقلي والديني الذي وصل إليه هؤلاء حتى إن بعضهم قد ادّعى النبوة، بل الأدهى من ذلك أنْ ادّعى سلطانهم طاهر سيف الدين أنّه إله حقيقة، وكان ذلك سنة (١٩١٧ م).

وحتى أكون أمينة مع القارئ لابد أن أسرد سراً موجزاً لبعض حركات الإسماعيلية التي نجد لها مسميات دون أن نعرف حقيقتها، وما ذلك إلا لتكتمل الرؤية في هذا الكتاب، ومن تلك الحركات: القرامطة، العبيدية، الميمونية، النصيرية، السنانية، البهائية، البهرة، البابية، الأغاخانية، اليامية.